حكاية الملاح الصغير كولومبس والطريق الجديد إلى آسيا

•• دردشة فى ميناء جنوة الإيطالى :

كان ميناء جنوه فى أواخر القرن الخامس عشر أشبه بالمقهى الكبير الذى يلتقى به البحّارة القادمون من مناطق مختلفة ؛ من أيسلندا ، والبرتغال وإنجلترا وإفريقيا .. وكانت تدور بينهم قصص وحكايات عما لاقوه من أحداث خلال سفرهم .. فكان أغلب حديثهم مرتبطاً بالحركة الملاحية وما وصلت إليه وما يأملون فى القيام به . ووسط تلك الأحاديث الدائرة كان هناك صبى يستمع باهتمام لما يدور ، وودّ من خلال ما استمع إليه من أشياء مثيرة أن تتاح له فرصة للإبحار عبر الأطلنطى . هذا الصبى البالغ من العمر ١٩ عاماً هو الملاح البرتغالى « كريستوفر كولومبس » . ومن خلال الأحاديث التى دارت بينه وبين بعض الملاحين ومصممى الخرائط جاءت لديه فكرة الوصول إلى الشرق الأقصى بسلك طريق ملاحى جديد ، وذلك بالاتجاه غرباً لعبور الأطلنطى . وظلت تلك الفكرة تراوده آملاً أن تتحقق بنجاح ، وأن يعود من الشرق الأقصى محملاً بالحرير والتوابل والذهب ! .

كولومبس .. الملاح البرتغالى الذى عشق الملاحة منذ صغره

إن القيام بمثل هذه الرحلة البحرية كان أمراً مُكلفاً للغاية ولذا ظل القيام بها أمراً صعب التحقيق لعدم توافر الإمكانات اللازمة لدى كولومبس . وبعد مرور عدة سنوات ، وصلت أنباء عن تلك الفكرة إلى ملك وملكة أسبانيا [فرديناند وزوجته إزابيلا] فأعجبتهما وأثارت فضولها .. وقررا أن تتولى حكومة أسبانيا تكاليف الرحلة . وأخيراً تحقق الحلم الذى طالما حلم به كولومبس .. وأصبح لديه ثلاث سفن ضخمة جاهزة للقيام بالرحلة وفرتها له الحكومة الأسبانية .. تلك الرحلة المثيرة للغاية والتى لن ينساها التاريخ والتى كشفت عن الأرض الجديدة .. أرض أمريكا الشمالية .

- كولومبس يبدأ رحلته المثيرة !

وفى صباح يوم ١٢ أكتوبر من سنة ١٤٩٢ ، غادر كولومبس ميناء «بالوس» الأسبانى على سطح السفينة «سانتا ماريا» ومن خلفه باقى السفن وعلى متنها عدد من البحّارة الأسبان .

وبعد انقضاء ٣٣ يوما من الملاحة وصلت السفن إلى إحدى جزر «الباهاما»(*) ويعتقد أنها كانت جزيرة سان سلفادور (المعروفة باسمها الحالى) .. وكان سكان تلك الجزيرة ودودين كرماء ، وما أن رأوا السفن القادمة حتى خرجوا لاستقبالها بقوارب صغيرة مصنوعة من جذوع الشجر وعندما وصل كولومبس لأرض الجزيرة ادّعى أنها جزيرة خاضعة لأسبانيا وقام برفع العلم الأسبانى على أرضها !

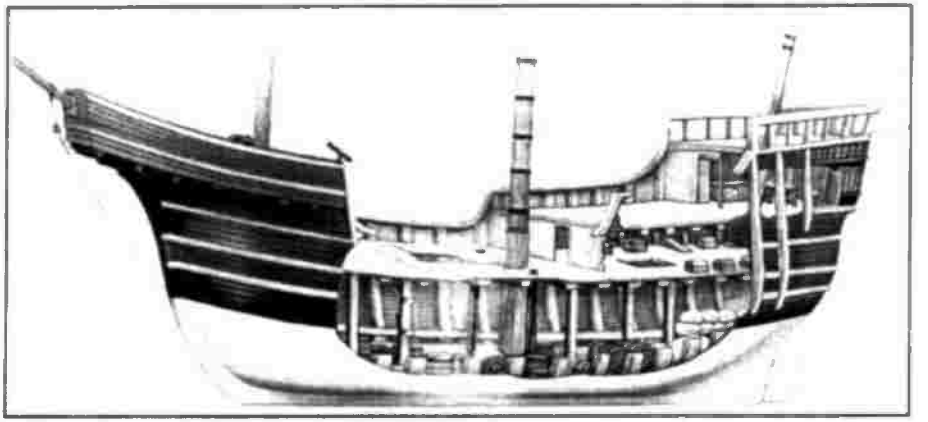

هذا مقطع بسفينة مشابهة تماماً للسفينة سانتا ماريا التى ركبها كولومبس أثناء رحلته إلى الشرق الأقصى .. ويتضح من تصميم السفينة صعوبة الإقامة بها ، وعدم ملاءمتها للقيام برحلات طويلة .

- المُعاملة الكريمة تُقابَل بالإساءة !

لقد كان السكان الأصليون البدائيون لتلك الجزر التى وصلها كولومبس غاية فى الكرم والترحيب بكولومبس ورجاله . فكانوا يقدمون لهم الطعام والمأوى ويحتفون بهم . لكن هذا السلوك الطيب لم يتوافر من جانب كولومبس ورجاله والذين استولوا على زراعات القطن والقرفة واستولوا على ما كان لديهم من أحجار كريمة .. بل إنهم قاموا كذلك باعتقال بعض السكان ، واتخذوهم عبيداً للإتجار بهم . وبالإضافة لذلك أصيب عدد كبير من سكان الجزيرة

(*) مجموعة من الجزر بأمريكا الوسطى .

بمرض الجـــــدرى الـذى انتـقلت العـدوى به لهم من بعض البحّارة الذين أصيبوا بالمرض . وقد أدى انتشار هذا المرض بالجـزيرة إلى وفـاة أعـداد كـبيـرة من سكانهـا. ولذا فإن مجيء كريستوفر كـولومـبس إلى تلك الجـزر الهادئة كان نقمة على أهلها !

شكل يصور ترحيب سكان الجزيرة بكولومبس ورجاله بعد وصولهم إلى أرض الجزيرة .

– أكبر خطأ ملاحى قاد لأكبر اكتشاف جغرافى !!

وبوصول كولومبس إلى تلك الجزر ظن أنه نجح فى الوصول إلى جزر الهند (Indies) .. (اسم كان يطلق على جنوب شرق آسيا ، والهند ، وإندونيسيا) .. وظن كـولومبس أن تلك الجزيرة التى هو على أرضـهـا هى إحـدى جـزر بلاد الهند . ولم يكن يعلم أنه على مـقـربة من الوصـول للقـارة الأمريكيـة .. تلك الأرض الجديدة التى كانت فى غيب عن الدنيا فى تلك الفترة . ولهذا السبب، أو لهـذا الخطأ ، أطلق كـولومبس على السكان الأصليين لتلك الجزر بأمريكا الوسطى اسم الهنود (Indians) ويعتقد أن تسميتهم بالهنود الحمر جاءت من اتصافهم ببشرة مائلة للاحمرار أو وجود بقع حمراء عليها . ومن الطريف أن كولومبس ، والذى توفى عام ١٥٠٦ ، غادر الدنيا وهو لا يعرف أنه وصل إلى قارة جديدة بأكملها !

•• سرّ رياح المحيط الأطلنطى الذى عرفه كولومبس !

إن سفن كولومبس التى قام بها برحلته كانت متواضعة وغير مؤهلة تماماً للسفر خلال المحيط الأطلنطى العملاق ، لكن اتجاه رياح المحيط ساعده بدرجة كبيرة فى رحلته . ففى الجزء الشمالى من المحيط تتجه الرياح من الغرب إلى الشرق .. وفى الجزء الجنوبى تمضى الرياح فى اتجاه عكسى . وبناء على هذه المعلومة الهامة التى توصل لها كولومبس فإنه مضى فى رحلة الذهاب إلى القارة

الأمريكية [أو بلاد الهند ، كما كان يعتقد] فى الجزء الجنوبى من المحيط ، بينما مضى فى رحلة العودة إلى بلاده فى الجزء الشمالى من المحيط .

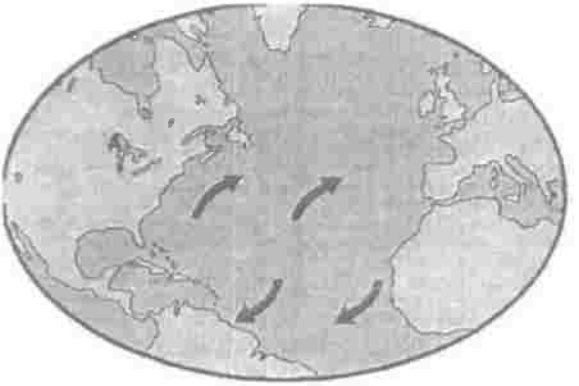

اتجاه الرياح فى المحيط الأطلنطى الشمالى

- ***من أين جاء اسم «امريكا» ؟***

إن كولومبس وصل لأمريكا لكنه ظل جاهلاً بأنها أمريكا .. فمن الذى صحح هذا الخطأ ؟ ولم سميت تلك الأرض الجديدة باسم أمريكا ؟هذا هو التفسير .. كان هناك شاب يدعى «أميريجوفيسبوتشى» يعمل لدى أسرة إيطالية ثرية [أسرة ميد يسيز] .. والتى أرسلته لأسبانيا للعمل هناك فى مجال بيع البضائع للسفن . وهناك التقى بكولومبس . وفيما بين سنة ١٤٩٧ وسنة ١٥٠٤ [أى بعد اكتشاف كولومبس للقارة الأمريكية] قام فيسبوتشى بعدة رحلات عبر الأطلنطى ومضى بسفينته بمحاذاة ساحل أمريكا الجنوبية .. وقد اعتقد - مثل كولومبس- أنه وصل إلى بلاد الهند ، لكنه عندما استمر فى الإبحار جنوباً أدرك أن تلك الأرض التى رآها ليست جزءاً من آسيا . وأدرك أنه وصل لأرض جديدة . وقام بتدوين مشاهداته عن تلك الأرض الجديدة . وبعد مضى سنة على وفاة كولومبس ، أى فى سنة ١٥٠٧ ، اقترح الجغرافى «مارتن ولد سيمولر» أن يطلق اسم «أمريكا» على تلك القارة الجديدة نسبة إلى «أميريجو» باعتباره أول من أدرك وجود هذه الأرض الجديدة واستطاع وصفها وصفاً جيداً .